الإهـــــــداء

إلى حفيدتيَّ الجميلتين:
كرستين ونورا ناجى فرح
مع أجمل الأمنيات

فايز فرح

مقدمة

هناك رواد وأعلام لايمكن أن ينساهم الإنسان مهما قدم الزمان واختلف المكان، أسماء خالدة فى حياة الإنسانية ساهمت فى تطويرها وإسعادها وحضارتها، وأصبح من حق هؤلاء علينا أن نذكرهم دائما، فهم عباقرة محفورة أسماؤهم فى الذاكرة، ذاكرة كل إنسان مثقف فى هذا الكون الفسيح، الذى أصبح نتيجة ثورة المواصلات والتكنولوجيا والحاسب الآلى «الإنترنت» قرية صغيرة متشابكة.

وهل لايعرف أحد (بوذا) فيلسوف الأخلاق، والذى يعتبره البعض صاحب دين نشره فى الهند منذ القرن السادس قبل الميلاد، ومازال ملايين من البشر يؤمنون به ويسيرون على هدى تعاليمه الأخلاقية الحميدة التى تدعو إلى الخير والحق والحب والقضاء على إلحاح الشهوات والظلم والجهل والخوف والغضب..

وكاتب هذه السطور لايمكن أن ينسى أيضا أبو الفلسفة سقراط لأنه الأستاذ الذى لم يرد تلاميذه الملايين من عشاق الفلسفة فى العالم وقد عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد فى أثينا عاصمة نور المعرفة والفلسفة فى ذلك الوقت.

لقد تعلمنا الكثير من أستاذنا سقراط تعلمنا الحوار واحترام الرأى والرأى الآخر، تعلمنا التمسك بالحق حتى النفس الأخير، تعلمنا أن الوجاهة الحقيقية للإنسان هى وجاهة العقل والفكر المستنير.. لاشك أن سقراط من العباقرة الذين يعيشون فى الذاكرة.

الأديب والمفكر العربى (أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب) المعروف بلقب الجاحظ تمتع بشهرة كبيرة بين كتاب عصره خلال القرن التاسع الميلادى، وعشق الكتب، وترك لنا حوالى ثلاثمائة وخمسين كتابا فى شتى أنواع المعرفة، فى الفلسفة والدين والسياسة والاقتصاد، والاجتماع والأخلاق والأدب والشعر والتاريخ والجغرافيا والطبيعيات والرياضيات، وكان جميل الأخلاق والطباع وإن لم يكن جميل الخِلقة والشكل، فأحبه الناس واستفادوا بعلمه، ومازلنا نتذكره.

أما الرحالة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى) المشهور بابن بطوطة، فهو الرحالة المغربى العربى الذى تحدث عن رحلاته فى الشرق والغرب. ويكفيه أنه قضى من حياته ثلاثين سنة فى رحلاته قطع خلالها ألف ميل وقدم لنا معلومات جديدة عن البلدان التى زارها. ألا يستحق أن نذكره؟.

العالم الإيطالى (جاليليو جليلى) الذى اخترع الترمومتر، والبارومتر، ثم التلسكوب وكشف لنا السماء وما فيها والقمر الملىء بالجبال والوديان السحيقة والمنخفضات شديدة الغور. واستطاع أن يسبق رواد الفضاء بثلاثة قرون ونصف القرن فى التعرف إلى حقيقة القمر وعناصر تكوينه.. جاليليو العالم الجليل لم تكن حياته سهلة سعيدة، بل نغصت محاكم التفتيش حياته وجعلته فى عزلة نسبية عن العالم، لايرى حتى تلاميذه المقربين إلا بإذن من روما، وفقد نور عينه اليمنى أولا ثم الثانية ثم رحل..!.

وهل ينسى أى مثقف فى العالم المفكر الفرنسى العالمى: جان جاك روسو. عاشق الطبيعة وفيلسوف الثورة. الذى عاش حياته يدافع عن المساواة بين الإنسان وأخيه الإنسان، ويحارب ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، وهاله وضايقه أن يُضَيِّع الأغنياء ثرواتهم فى أنواع المسرة والملذات فى الوقت الذى لايجد فيه الفقير ما يكفيه من الطعام، بل إن فضلات الطعام على موائد الأغنياء تكفى كثيرين من الفقراء.. وقد أوضح روسو أن علاج ذلك هو العودة إلى الطبيعة، لأن الناس كانوا فى حالة الطبيعة متساوين ولكن المجتمع والحضارة هما اللذان أديا إلى ما نرى بينهم من فوارق بسبب ظهور أشخاص أقوياء نصبوا أنفسهم سادة على غيرهم. وبذلك ولدت المجتمعات البشرية قائمة على التفرقة بين الناس، وفقد الإنسان بعد ذلك أثمن ما يملكه وهو حريته.

من المعالم التى يراها كل زائر إلى (باريس) بلاد العلم والنور، (برج إيفل) وهل تعلم عزيزى القارئ أن هذا المهندس الشاب (جوستاف إيفل) هو الشخص العنيد عاشق الحديد، الذى وضع التطور العلمى فى خدمة الصناعة الفرنسية، وتحدى كبار الأدباء والمفكرين فى تحقيق مشروعاته، حتى أدت أبحاثه وتجاربه فى النهاية إلى الانتقال من عصر البناء القديم بالأحجار والأخشاب إلى عصر البناء الحديث بالصلب والمسلح، عصر بناء ناطحات السحاب الحديثة..

ألا يستحق إيفل أن يكون أحد العباقرة الذين تعتز بهم ذاكرة كل مثقف..؟.

العالمة البولندية الفرنسية (مارى كورى) عاشت للبحث والعلم،

وتحملت الفقر والظلم والجوع فى سبيل تحقيق حلمها العلمى، وأخيرا توجت حياتها باكتشافها لمادة (الراديوم Radium) التى يعالج بها مرض السرطان، ومن عجب أن هذا الاكتشاف أفاد الناس جميعا ولكنه ساهم فى موت صاحبته بالإشعاع الذى تسرب إلى جسمها، وكان طبيعى أن تفوز بجائزة نوبل، فازت بها مرتين، الأولى مع زوجها (بيير كورى)، والثانية وحدها.. إن اسم مارى كورى محفور فى ذاكرتى وذاكرة كل العلماء، بل ذاكرة كل مثقف يقدر العبقرية.

أما العبقرية الأخيرة التى تتناولها هذه الدراسة فهى لشاعر عربى مهجرى عاش فى لبنان ومصر وأمريكا ولعب دورا مهما فى الحياة الأدبية للعرب فى أمريكا، وكان شاعرا فيلسوفا تغنى بأحلى وأجمل الكلمات التى تدعونا إلى حب الحياة والأمل المتجدد والتفاؤل الدائم.. إنه إيليا أبو ماضى الذى قال:

أيهذا الشاكى وما بك داء ... كيف تغدو إذا غدوت عليلا؟
إن شر الجناة فى الأرض نفس ... تتوقى قبل الرحيل، رحيلا
وترى الشوك فى الورود وتعمى ... أن ترى فوقها الندى إكليلا
هو عبء على الحياة ثقيل ... من يظن الحياة عبئا ثقيلا
والذى نفسه بغير جمال ... لايرى فى الوجود شيئا جميلا

فايز فرح